تفسیر

سورتی یٰسٓ و الصّافّات

جمعية القرآن الكريم

الكتاب : تفسير سورتي يس والصافات

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى في ذي القعدة 1430 هـ - 2009 م - بيروت-لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسیر

سورتی یٰسٓ و الصّافّات

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يقول سبحانه وتعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(١)

القرآن برنامج الهداية الإلهية، والوصفة الطبية الشافية تماماً. فمن لا يتدبر في القرآن، أو أنه يتدبر إلاّ أن قلبه مقفل نتيجة اتباع الهوى والأعمال السيئة التي يقوم بها بحيث لا تنفذ معه أي حقيقة الى قلبه يعتبر عامل مسكنة هذا الفرد وضياعه. بتعبير آخر، فهو كرجل ضل طريقه في الظلمات، فلا سراج في يده، ولا هو يبصر إذ هو أعمى، فلو كان معه سراج، وكان مبصراً، فإن الاهتداء الى الطريق في أي مكان سهل ويسير.

تؤكد الآيات القرآنية المختلفة على حقيقة أن هذا الكتاب السماوي العظيم ليس للتلاوة وحسب، بل إن الهدف النهائي منه هو الذكر، والتدبر في عواقب الأمور، والانذار، واخراج البشر من الظلمات، والشفاء والرحمة والهداية.

يقول عزّ وجلّ:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(٢)

---

(١) – سورة محمد ﷺ / ٢٤

(٢) – سورة ابراهيم عليه السلام / ١

وقال سبحانه أيضاً:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

ولهذا، فإن القرآن الكريم يجب أن يأخذ مكانه من حياة المسلمين، ويكون في قلبها وصميمها لا على هامشها، وعلى الجميع أن يجعلوه قدوتهم وأسوتهم، وأن ينفذوا كل أوامره، وأن يجعلوا منهاج وطريقة حياتهم وطبيعتها منسجمة معه.

ولا بد أن نشير هنا الى تأكيد علمائنا الأبرار ومراجعنا العظام في الحث على تلاوة القرآن والتدبر فيه والتفكر في آلائه، لا سيما سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي دام ظله إذ يقول في إحدى توصياته وارشاداته:

«يجب التدبر في القرآن، أي التفكر في أعماق الآيات وفيما يريده القرآن».

إنطلاقاً من الذي ذكرناه قامت جمعية القرآن الكريم للتوجيه والارشاد بدورها في بيان وتوضيح سورتي (يٰسٓ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ) لتسهيل وتعبيد الطريق أمام كل من يريد أن يتدبر القرآن من أجل الوصول الى التطبيق والعمل. نسأل الباري عزّ وجلّ أن يوفقنا للوصول الى الهداية من خلال ذلك، إنه هو السميع العليم.

والحمد لله رب العالمين

جمعية القرآن الكريم

دائرة الدراسات

٢٧/رجب/١٤٣٠هـ

(١) - سورة الاسراء / ٨٢

سُورَةُ يٰسٓ

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية الا آية منها وهي قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ نزلت في المدينة.

فضيلة سورة يس:

هذه السورة من أهم السور القرآنية، الى حد أن الأحاديث لقبتها بـ«قلب القرآن» ففي حديث عن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس»[١]

وعن الامام الصادق عليه السلام: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس فمن قرأ يس في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة، وإن مات في نومه أدخله الله الجنّة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك »[٢]

كذلك نقرأ عن الرسول ﷺ أيضاً «سورة يس تدعى في التوراة المعمة ! قيل: وما المعمة ؟ قال: تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة »[٣]

هناك روايات أخرى عديدة بهذا الخصوص، أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة ولكن ينبغي ان نعرف أن هذه الفضيلة والثواب لا ينالهما من يكتفي بقراءة الالفاظ فقط، بل إن عظمة فضيلة هذه

(١) – مجمع البيان: ج ٨ / ص ٦٤٦
(٢) – مجمع البيان: ج ٨ / ص٦٤٦
(٣) – مجمع البيان: ج ٨ / ص٦٤٦

السورة إنما هي لعظمة محتواها.. فهو يوقظ من الغفلة ويضع في النفس الايمـان، ويولد روح المسؤولية ويدعو الى التقوى، بحيث أن الانسان إذا تفكـر في هذه الآيـة وجعل ذلك التفكر يلقي بظلاله علـى أعماله، فإنه يفوز بخير الدنيا والآخرة.

محتوى سورة يس:

تتحدث هذه السورة عن أربعة أقسام أساسية:

القسم الأول: يتحدث عن رسالة النبي الأكرم ﷺ والقرآن المجيد والهدف من نزول ذلك الكتاب السماوي العظيم وعن المؤمنين به.

القسم الثاني: يتحـدث عـن رسالة ثلاثـة من أنبيـاء الله، وكيف كانت دعوتهم للتوحيد، وجهادهم المتواصل المرير ضد الشرك، وهذا فـي الحقيقة نوع مـن التسلية والمواساة لرسـول الإسلام ﷺ وتوضيح الطريق أمامه لتبليغ رسالته الكبرى.

القسم الثالث: يتحدث عن النكات التوحيدية الملفتة للنظر، وهو عرض معبر عن الآيات والدلائل المشيرة الى عظمة الله في عالم الوجود.

القسم الرابع: يتحدث حـول المواضيع المرتبطـة بالمعاد والأدلة المختلفـة عليـه، وكيفيـة الحشـر والنشر، والسـؤال والجـواب في يوم القيامة، ونهاية الدنيا، ثم الجنة والنار.

وفـي خلال هـذه البحوث الأربعة تـرد آيات محركـة ومحفزة لأجل تنبيه وإنذار الغافلين والجهال، لها الأثر القوي في القلوب والنفوس.

الخلاصـة: هي أن الانسان يواجه في هذه السورة بمشاهد مختلفة مـن الخلـق والقيامة، الحياة والمـوت، الانذار والبشـارة، بحيث تشكل بمجموعها نسخة الشفاء ومجموعة موقظة من الغفلة.

ترتيبها ٣٦ — سُورَةُ يٰسٓ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾
وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ

ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

اللغة والبيان:

مُقْمَحُونَ: المقمح الـذي يغض بصره بعد أن يرفـع رأسه، يُقال: قمح البعير رأسه إذا رفعه بعد شرب الماء.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ: جعلنا على أبصارهم غشاوة.

فَعَزَّزْنَا: تقول عززني بكذا قوّاني به، وهو المعنى المراد به هنا.

تَطَيَّرْنَا: تشاءمنا.

طَائِرُكُمْ: شؤمكم.

أَقْصَى: أبعد.

التفسير:

الحروف المقطعة:

(يس) (١)

هذه السورة تبـدأ بحروف مقطعة وهي (ياء) و(سين)، ولقد كتبنا عـن الحروف المقطعة في تفسير سورة مريم عليها السلام، ولكن فيما يخص سورة (يس) فتوجد تفسيرات أخرى لهذه الحروف المقطعة. من جملة هذه التفاسير أن هذه الكلمة (يس) تتكون من «ياء»حرف نداء و«سين» أي شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه فيكون المعنى أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتوضيح قضايا لاحقة.

وقـال الشيـخ الطبرسـي قدس سره: روي عـن الامـام علـي عليه السلام: أن كلمة(يس) اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفـي رواية عـن الامام الصـادق عليه السلام أنه قال: «يـس اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدليـل على ذلـك قوله تعالى: ﴿**إنـك لمـن المرسلين على**

صراط مستقيم﴾[1].

وقيل أيضاً: (يس) معناه يا انسان.

وقيل: معناه يا رجل.

وقيل: معناه يا سيد الأولين والآخرين.

(وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (٢)

لقد أقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل، وقيل سمّاه حكيماً لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها.

(إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٣)

أي ممن أرسله الله تعالى بالنبوة والرسالة.

(عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٤)

على الطريق الذي يؤدي بسالكيه الى كمال العبودية لله سبحانه والقرب منه تعالى ويوصل الى الحق والجنة من خلال تطبيق شريعته الواضحة وحجته الدامغة.

(تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) (٥)

يعني هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه (الرحيم) بخلقه ولذلك أرسله.

(لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ)(٦)

أي لتخوّف بالقرآن وتحذّر به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فهم غافلون﴾ عما تضمّنه القرآن وعمّا انذر الله به من نزول العذاب.

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)(٧)

---

(١) – نور الثقلين: ج٤ / ص ٣٧٥

أي لقد وجب العذاب على أكثر السابقين حيث ماتوا على الكفر والشرك.

(إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ) (٨)

الأغلال جمع غل وهو الطوق من الحديد، والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيَين.. وإذا شُدت الأيدي بالأغلال الى الأعناق ارتفع الرأس الى فوق، واستحال على المغلول أن يلتفت يمنة ويسرة أو ينظر الى الامام فهو أبداً ينظر الى السماء، وهذا هو المقمح، وكل ذلك لتمردهم على الحق وفسادهم في الأرض.

أسباب النزول:

قيل نزل قوله «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا »في أبي جهل كان حلف لئن رأى محمداً ﷺ يصلّي ليرضخنّ رأسه فأتاه وهو يصلّي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني.

وروي: أن قريشاً اجتمعوا بباب النبي ﷺ فخرج اليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه، وهناك أسباب أخرى ذكرت إكتفينا بهذا.

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (٩)

أي يجعلهم الله يوم القيامة بين سدّين من نار: واحد من أمامهم وآخر من خلفهم لا تجدون متقدّماً عنهما ولا متأخراً ولا يبصرون سماء ولا غيرها لأن السدّين قد أعميا أبصارهم.. وهذا العذاب لا يختص بالمشركين، بل يعم كل مجرم وظالم، قال الامام علي عليه السلام: «أما أهل معصيته فأنزلهم شر دار، وغل الأيدي الى الأذقان، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران، ومقطعات النيران، وبابٌ قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب «.

وإذا حملناه على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد جعلنا بين ايدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً فأغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)(١٠)

يعني الأمر سيان عندهم يا محمد وعظت أو لم تعظ فإنهم لا يتحركون إلا بوحي من أهوائهم ومصالحهم.

من هم الذين يتقبلون إنذارك:

(إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) (١١)

إنما يستمع إليك وينتفع بإنذارك وتخويفك من اتّبع القرآن إذا تليت عليه آياته وخشي الرحمن خشية مشوبة بالرجاء فبشره بمغفرة عظيمة وأجر كريم.

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)(١٢)

المعنى ان الله يبعث الناس غداً من قبورهم، وقد أُحصِيَ عليهم ما فعلوه من خير وشر، وما تركوا من آثار نافعة أو ضارة، وانه يجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

رسولان عززهما الله بثالث:

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)(١٣)

قال سبحانه لنبيه ﷺ مثّل لهم مثالاً أصحاب قرية إنطاكية حين بعث الله إليهم المرسلين.

(إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)(١٤)

المعنى: هو أن الله سبحانه أرسل لأهل تلك القرية ثلاثة يدعونهم الى الحق، أما من هم هؤلاء الرسل ؟ فإن هناك أخذاً ورداً بين المفسرين، بعضهم قال: هم شمعون ويوحنا وبولس، وبعضهم ذكر أسماء أخرى لهم.

(قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)(١٥)

كانوا يرون أن البشر لا ينال النبوة والوحي، ويستدلون على ذلك بأنفسهم حيث لا يجدون من أنفسهم شيئاً من ذاك القبيل.

(قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) (١٦)

إنّما قالوا ذلك بعدما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون عن الله ففي ذلك تحذير شديد.

(وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (١٧)

أي ليس يلزمنا إلا أداء الرسالة والتبليغ وإتمام الحجة.

(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(١٨)

المعنى ان المكذبين قالوا للرسل: لقد تشاءمنا من دعوتكم، ونحن نخاف أن تعود علينا بتفريق الكلمة، وانقسامنا الى فئتين معكم وعليكم، فسكوتكم خير لنا ولكم وإلا أسكتناكم بالرجم وشدة العذاب.

(قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (١٩)

أي فقال لهم الرسل: لا مصدر لهذا الخوف والتشاؤم إلاّ أنفسكم التي توسوس إليكم بأن دعوتنا شؤم وشر والشر بأنفسكم وفيما انتم عليه من الشرك والجهل والفساد.

المجاهدون الذين حملوا أرواحهم على الأكف:

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) (٢٠)

لم يشر سبحانه الى اسم هذا الرجل، ومع ذلك قال المفسرون اسمه حبيب النجار، وأيّاً كان اسمه ونسبه فهو من الصالحين بشهادة القرآن، كان قد أمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه كذّبوا الرسل وهمّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتد (قال يا قوم اتبعوا) الذين أرسلهم الله اليكم وأقرّوا برسالتهم قالوا وإنّما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك أجراً قالوا لا وقيل انه كان به زمانة او جذام فابرأوه فآمن بهم.

(اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (٢١)

أي قال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) مع ذلك(مهتدون) الى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا أخذوه ورفعوه الى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال:

(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢٢)

هذا حكاية لقول المؤمن الناصح، ومعناه أي مانع يمنعني عن عبادة الذي أوجدني من العدم، ثم يبعثنا جميعاً بعد الموت للحساب والجزاء.

(أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ)(٢٣)

كيف أعبد أصناماً لا تضر ولا تنفع، ولا تنقذ ولا تشفع، إن أراد الله اهلاكي والاضرار بي لا تدفع ولا تمنع شفاعتهم عني شيئاً ولا يخلصوني من ذلك الهلاك او الضرر والمكروه.

(إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٢٤)

أي إني إن فعلت ذلك بأن عبدت تلك الأصنام وجعلتها شريكاً لله فإني سأكون في ضلال بعيد.

(إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) (٢٥)

أقول كلمة الحق فاسمعوها، وأجابه بها كل مبطل، ولا أبالي بالموت فاصنعوا بي ما تشاءون، وفي الأخبار أن قومه رموه بالحجارة، وفي مجمع البيان نقلاً عن تفسير الثعلبي أن رسول الله ﷺ قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون.

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)(٢٦)

الخطـاب للعبد الصالح المخلص وهو – كما يفيده السياق – يشير الى أن القوم قتلوه فنودي من ساحة العزة أن ادخل الجنّة. والمراد بالجنة على هذا: جنّة البرزخ دون جنّة الآخرة قال أمير المؤمنين عليه السلام: والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

(بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (٢٧)

لقـد تمنى أن يعلـم قومه بما أعطاه الله تعالى مـن المغفرة وجزيل الثـواب والجنة ليرغبوا فـي مثله وليؤمنوا لينالـوا ذلك الاكرام ودخول الجنان.

قصة رسل أنطاكية:

(انطاكيـة) واحـدة مـن أقدم مدن الشـام التي بنيـت – على قول البعض – بحدود ثلاثمائة سنة قبل الميلاد. وكانت تعدّ من أكبر ثلاث مدن رومية في ذلك الزمان من حيث الثروة والعلم والتجارة.

يقـول الطبرسـي – أعلى الله مقامه – في تفسيـر مجمع البيان – قالوا بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية، فلما قربـا مـن المدينة رأيا شيخـاً يرعى غنيمات له وهـو (حبيب) صاحب (يس) فسلّما عليه.

فقال الشيخ لهما: من أنتما ؟

قالا: رسولا عيسى، ندعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن.

فقال: أمعكما آية ؟

قالا: نعم، نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله.

فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين.

قـالا: فانطلق بنا الى منزلك نتطلـع حاله، فذهب بهما فمسحا ابنه فقـام في الوقت بإذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيراً من المرضى.

وكان لهـم ملك يعبـد الأصنام فانتهـى الخبر إليـه فدعاهما فقال لهما: من أنتما ؟ قالا: رسولا عيسى، جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر.

فقال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا ؟

قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك.

قـال: قومـا حتى أنظـر في أمركمـا، فأخذهمـا الناس فـي السوق فضربوهما.

وقـال وهب بـن منبه: بعـث عيسى هذيـن الرسولين الـى انطاكية فأتياها ولم يصلا الى ملكهـا، وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يـوم فكبرا وذكـرا الله فغضب الملـك وأمر بحبسهمـا، وجلد كل واحد منهمـا مائة جلـدة، فلما كُذب الرسولان وضُربـا، بعث عيسى (شمعون الصفا) رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلدة متنكـراً فجعل يعاشـر حاشية الملك حتـى أنسوا به فرفعـوا خبره الى الملـك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: ايها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل سمعت قولهما. قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك.

فقال لهما شمعون: من أرسلكما الى ها هنا.

قالا: الله الذي خلق كل شيء لا شريك له.

قال: وما آيتكما.

قالا: ما تتمناه.

فأمر الملك أن يأتوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة. فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يُبصر بهما، فتعجب الملك.

فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفاً ؟

فقال الملك: ليس لي عنك سر، إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع.

ثم قال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما.

قالا: إلهنا قادر على كل شيء.

فقال: الملك: إن ها هنا ميتاً مات منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه – وكان غائباً – فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح، فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سراً فقام الميت، وقال لهم: إني قد متّ منذ سبعة أيام، وأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم مما أنتم فيه، فآمنوا بالله فتعجب الملك.

فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك، دعاه الى الله فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون [1].

(١) – مجمع البيان: ج٢ / ص ٦٥٦

وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

اللغة والبيان:

الْقُرُونِ: جمع قرن، وهم القوم المقترنون في زمن واحد.

الْأَزْوَاجَ: الأصناف

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ: أي نزيل النهار ونضع الليل مكانه.

مُظْلِمُونَ: داخلون في الظلام.

كَالْعُرْجُونِ: على وزن فعلون من الانعراج أي الاعوجاج، وهو غصن النخلة شبه به القمر اذا انتهى في نقصانه.

الْفُلْكِ: السفن لأنها تدور في الماء، ومنه الفلكة لأنها تدور في المغزل، والفلك لأنها تدور بالنجوم.

الْمَشْحُونِ: المملوء.

فَلَا صَرِيخَ: فلا مغيث.

صَيْحَةً: صاح: رفع الصوت، والصيحة بالحق، أي النفخ في الصور.

يَخِصِّمُونَ: من مادة «خصم» بمعنى النزاع.

الْأَجْدَاثِ: جمع جدث وهو القبر.

يَنْسِلُونَ: من مادة «نسل» والنسلُ الانفصال عن الشيء.

التفسير:

يا حسرة على العباد:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨)

الضمير في قومه يعود الى المؤمن الصالح الذي قال: اتبعوا المرسلين الخ. والمراد بجند السماء الملائكة، فالمعنى من بعد قتل

المؤمن الصالح أو رفعه لم تنتصر منهم بجند من السماء ولم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جنداً من السماء يقاتلونهم وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (٢٩)

أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم (فإذا هم) ساكنون قد ماتوا قيل إنهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٠)

الحسرة هنا كناية عن سوء مصيرهم وعاقبتهم الوخيمة التي يتحسرون معها حين يرون عذاب جهنم نتيجة إصرارهم على تكذيب الرسل واتخاذهم سخرياً وهزواً.. ويندمون على إضاعة الفرصة في الحياة الدنيا.

الغفلة الدائمة:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٣١)

أي ألم يعلم هؤلاء الكفار كم قرناً أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم وأن القرون التي أهلكناهم لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم وأنهم سيصيرون الى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وانتم في غفلة وغرة كما أتاهم.

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٣٢)

كل الناس موقوفون غداً بين يدي الله عزّ وجلّ للحساب وجزاء الأعمال كان ذلك على الله سبحانه أمراً مقضياً.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣)

أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث وأن الأرض المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات (وأخرجنا منها) الحنطة والشعير والأرز، وغيرها من الحبوب الذي منه يأكلون.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (٣٤)

وأوجدنا فيها بساتين (من نخيل وأعناب) وفجّرنا في تلك الأرض الميتة عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥)

أي عرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات وبالذي عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخيل والعنب الكثيرة منافعها ألا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦)

أي تنزه سبحانه عن الشريك، وتعالى علواً كبيراً الذي خلق الأنواع والأصناف في الحيوانات والطيور، وفي النبات والانسان، وفيما لا نعلم من أقطار السماء وتخوم الأرض، وكل صنف من هذه الأصناف يختلف لوناً وحجماً وطعماً.

وفي كل شيء له آية :

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧)

أي ودلالــة لهم أخرى (الليل) ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهــواء مظلماً كمــا كان لأن الله سبحانه يضيء الهــواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء يدخلون في الليل الذي لا ضياء لهم فيه.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨)

دلالة أخرى لهم، الشمس التي لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء اجلها، فتخرج الدنيا ويبطل هذا النظام وهو تقدير وتدبير ممن لا يغلبه غالب في إرادته ولا يجهل جهات الصلاح في أفعاله.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩)

منــازل القمــر ثمانيــة وعشرون منــزلاً كل يوم وليلة منزلــة منها لا يختلــف حاله في ذلك الى أن يقطع الفلك (حتــى عاد) في آخر الشهر دقيقــاً كعذق النخل اليابس العتيق ثم يختفــي يومين آخر الشهر، وإنما شبّهــه سبحانه بالعذق لأنــه إذا مضت عليه الأيام جــفّ وتقوّس فيكون أشبه الأشياء بالهلال.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠)

يعنــي في سرعة سيره لأن الشمس ابطأ سيراً من القمر فإنها تقطع منازلها في سنة، والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير باين بين فلكيهما ومجاريهما فلا يمكن أن يدرك احدهما الآخر مــا دام علــى هذه الصفة ولا يسبــق الليل النهار ولا تجتمــع ليلتان ليس

بينهما نهار، بـل تتعاقبان كما قدّره الله تعالى. وكل من الشمس والقمر وغيرهمـا مـن النجوم والكواكـب يجرون في مجرى خاصـ فالفلك هو المدار الفضائي الذي يتحرك فيه الجرم العلوي.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١)

أي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا (أنا حملنا) آباءهم وأجدادهم الذيـن هؤلاء من نسلهم في سفينة نوح المملـوءة من الناس وما يحتاج إليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢)

أي وخلقنـا لهم من مثل سفينة نوح سفناً يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها وقيل مثل السفينة البرية من الدواب كالابل والبقر والحمير أو السفن الجوية كالطائرات في عصرنا.

آية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ (٤٣)

أي وإن نشأ إذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج فلا مغيث لهم يستجيب لصراخهم ولا ينقذهم منقذ.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (٤٤)

معنـاه إلاّ أن نرحمهـم بـأن نخلصهم فـي الحال من أهـوال البحر ونمتعهم الى وقت ما قدرناه لتقضى آجالهم.

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين !!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٥)

المعنى أن رسول الله ﷺ نهاهم عن المعاصي، وأنذرهم بنقمة الله وعذابه ان عصوا، وبشرهم برحمته وثوابه إن أطاعوا، لكنهم انقلبوا على أعقابهم مدبرين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤٦)

كلما جاءهم الرسول بمعجزة ظاهرة أو بيّنة واضحة كذبوا بها تمرداً وعناداً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤٧)

أي إذا قيل للمترفين المحتكرين (انفقوا) على المحتاجين قالوا: كيف؟ وقد قضى الله عليهم بالفقر والعوز، وقدّر لنا العز والغنى، ونحن لا نخالف ما قضى الله وقدر! قالوا هذا وتجاهلوا أن الفقر من صنع الأرض لا من صنع السماء، ومن فساد الأوضاع وانظمة الطغيان لا من شريعة الرحمن، وفي كتاب الوسائل عن الامام الصادق عليه السلام: ان الله جعل للفقراء من أموال الأغنياء ما يكفيهم، ولولا ذلك لزادهم، وإنما يؤتون من منع من منعهم... إن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الأغنياء.

صيحة النشور:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨)

معناه إذا حذرهم الله سبحانه والرسول ﷺ من سوء العاقبة وبئس المصير، قالوا ساخرين: متى هذا المصير؟

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩)

أي مـا ينتظرون إلا نفخـة الصور الأولى تأتيهـم وهم يتنازعون في شؤون دنياهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٠)

معنـاه إذا جـاءت صيحة العذاب فلا يُمهل أحـد منهم ليوصي أهله بما أهمه، وان كان غائباً عنهم لا يملك الرجوع اليهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١)

أخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه إذا بعثوا بعد الموت من القبور الـى الموضع الذي يحكم الله فيه، لا حكم لغيره هناك يخرجون سراعاً.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٢)

تعجبـوا مـن إحيائهـم بعد المـوت، وكانوا من قبـل يسخرون ممن يعدهم به، ويأمرهم بالاستعداد له، وبعد أن شاهدوه قالوا: بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وإليه النشور.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥٣)

أي لـم تكن المـدة إلا مدة صيحة واحـدة، فإذا الأولـون والآخرون مجموعون في عرصات القيامـة حاضرون في موقف الحساب، فالخلق والمـوت والبعـث لديه تعالى سواء.. كل واحد منهـا يكون بكلمة واحدة، فالصيحة الأولى للمـوت والصيحة الثانية للحياة والحضور في محكمة العدل الالهي.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤)

معناه لا ينقص من له حق شيئاً من حقه من الثواب او العوض أو غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على مقتضى العدل.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

اللغة والبيان:

فَاكِهُونَ: مرحون من الفكاهة لا من الفاكهة.

ظِلَالٍ: جمع ظل وهو الفيء.

الْأَرَائِكِ: جمع أريكة وهي السرير.

مَا يَدَّعُونَ: ما يطلبون.

وَامْتَازُوا: انفردوا وابتعدوا عن أهل الخير والصلاح.

جِبِلًّا كَثِيرًا: خلقاً كثيراً.

اصْلَوْهَا: قاسوا حرها والزموا العذاب بها.

لَطَمَسْنَا: الطمس المحو والمراد به هنا العمى أي لأعميناهم.

فَاسْتَبَقُوا: من الاستباق أي بادروا وانطلقوا.

نُنَكِّسْهُ: نكس الشيء هو جعل أسفله أعلاه.

رَكُوبُهُمْ: بفتح الراء والمراد به هنا المركوب.

مَلَكُوتُ: مبالغة في ملك الله سبحانه وسلطانه.

التفسير:

أصحاب الجنة وأصحاب النار:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ (٥٥)

أي شغلهم النعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عمّا فيه أهل النار من العذاب.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (٥٦)

أي أصحاب الجنة وأزواجهم في الدنيا ممن وافقهم على ايمانهم في استتار عن وهج الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من

الظلال التـي لا حرّ فيها ولا برد، وقيل ازواجهم اللاتي زوّجهم الله من الحور العين في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم، على السرر عليها الحجال جالسون جلوس الملوك إذ ليس عليهم من الأعمال شيء.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ (٥٧)

أي لهـم فـي الجنـة كل مـا يتمنونه ويشتهونـه ويطلبونـه يحصلون عليه.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)

أي لهـم سلام ومنى أهل الجنة أن يسلـم الله سبحانه عليهم يقوله تعالـى قولاً يسمعونه منـه سبحانه فيؤذنهم بـدوام الأمن والسلامة مع سبـوغ النعمة والكرامـة، وقيل أن الملائكة يدخلـون عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم.

ألم أعهد إليكم أن لا تعبدوا الشيطان ؟!

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٩)

كان المجرمـون فـي الحياة الدنيـا يتظاهرون بالصـلاح ويلبسون مسوح الرهبان، ويختلطون مع اهل التقى والخير... ويخفى حالهم على الكثير من الناس،، أما في يوم الفصل والجزاء فيباعد الله بينهم وبين الصالحيـن، ويقول لهم: ادخلوا النار مع الداخليـن »يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام «[1]

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠)

معنـاه ألم آمركم علـى ألسنة الأنبيـاء والرسل فـي الكتب المنزلة

(١) - الرحمن /٤١

ألاّ تطيعـوا الشيطان فيما يأمركم به، وقلـت لكم ان الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة عليكم يدعوكم الى ما فيه هلاككم.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١)

وصف سبحانـه عبادته بأنّها طريق مستقيم مـن حيث كونه طريقاً الى الجنة.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٢)

أي أضـلّ الشيطـان عـن الدين خلقاً كثيـراً منكم بـأن دعاهم الى الضـلال وحملهـم عليه وأغواهـم (أفلم تكونـوا تعقلون) انـه يغويكم ويصدّكم عن الحق فاحذروه.

اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم !!

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٦٣)

فقـد بعث إليكم الأنبيـاء واحداً بعد واحـد، وحذروكم من مثل هذا اليـوم ومن مثل هذه النـار، ولكنكم لم تأخذوا أقوالهـم إلا على محمل السخرية والاستهزاء.

﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦٤)

معناه إلزموا العذاب بها فانتم وقودها، جزاء لكم على كفركم بالله سبحانه وتكذيبكم انبياءه.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٥)

كل جارحـة للعصـاة الطغاة التي كانت لا تنطق فـي الدنيا، ينطقها الله غـداً لتشهد علـى صاحبها بما اجتـرح من السيئـات، بينما توضع الاختام على افواههم فلا يقدرون على الكلام والنطق، فتشهد اليد عليه

بمـا ضرب وسرق وكتب وأشار، والرّجل بمـا سعى، والعين بما نظرت.. وهكذا.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ (٦٦)

أي لو أراد سبحانه ان يعاقب المجرمين في الدنيا لأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيلاً.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (٦٧)

أي لو أراد سبحانه أن يعاقبهم في الدنيا لجعلهم أجساداً بلا أرواح، لا يستطيعون الحركة ذهاباً ولا إياباً.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٨)

كلمـا تقـدم الإنسـان فـي السن تقهقـر الى الـوراء، فيخـرف بعد الإدراك، ويضعـف بعـد القـوة.. والغرض مـن هذا البيان هـو الإشارة الـى أن الله سبحانه قد أمدّ الإنسان بحياة كافية وافية لأن يهتدي فيها ويعمـل صالحاً، وأنه لـو عُمّر أكثر من المعتاد لأقعـده العجز والمرض، وكان طول العمر عليه شراً ووبالاً.

وما علمناه الشعر !!

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩)

حـاول أعداء الله والحـق تكذيب النبـي ﷺ بشتـى الوسائل، منها الرمـي بالجنون، وأنه أخذ القرآن من أعجمـي، ومنها أن القرآن الذي جـاء به ﷺ مـا هو إلاّ شعر يعبـر عن تفكيره وخيالـه، وليس بوحي من

عنـد اللّه.. فـرد عليهم سبحانه بأن الشعر يرتكـز على عاطفة الشاعر وميولـه وأهوائه، يناصر من يحب وان كان مبطلاً، ويقاوم من يكره وان كان محقاً، والقرآن هو القول الجد والفصل، وما هو بالهوى والهزل، هو كتاب عقيدة وشريعة، واخلاق وعظات، وفيه علم وفكر، وأين الشعر من ذلـك ؟ فإن نظم القرآن ليس بنظم الشعر، وقد صح أنه ﷺ كان يسمع الشعر ويحث عليه وقال: لحسان ابن ثابت لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك.

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧٠)

الناس ينقسمون حيال دعوة القرآن الكريم الى مجموعتين: مجموعة حية يقظة تلبي تلك الدعوة، وتلتفت الى إنذاراتها، ومجموعة من الكفار ذوي القلـوب الميتة، الذين لا تؤمل منهم أيـة استجابة ابداً، ولكن هذه الانذارات سبب في إتمام الحجة عليهم، وتحقق أمر العذاب بحقهم.

ولهم فيها منافع ومشارب:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١)

معنـاه أولم يعلموا (أنا خلقنا) لمنافعهـم مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنـا لـم نشارك في خلقه ولم نخلقه بإعانـة معين ((انعاماً) من الابل والبقر والغنم، ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢)

أي سخّرناهـا لهم حتى صارت منقادة فقسـم من الانعام ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣)

فمن منافعها لبس أصوافها واشعارها وأوبارها وأكل لحومها وركوب ظهورهـا الى غير ذلك من أنـواع المنافع الكثيرة فيهـا والمشارب من ألبانها (أفلا يشكرون) الله تعالى على هذه النعم.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٧٤)

أي عبدوا أحجاراً لا تضر ولا تنفع لكي تنصرهم وتدفع عنهم عذاب الله.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ (٧٥)

يعنـي أن هـذه الآلهة معهم في النار محضـرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب، وهذا كما قال سبحانه

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦)

عـزّى سبحانـه نبيه ﷺ بأن لا يحـزن من قولهم به أنـه مجنون او شاعر أو كاهن لقد كذبوه واضمروا له الحقد والضغينة، وأعلنوا الطعن بـه وبدعوتـه.. وليـس من شـك أن الله تعالـى بذلك عليـم وقدير على حسابهم وعذابهم.. إذن، لماذا الحزن والألم ؟

قال من يحيي العظام !

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧)

نبّه سبحانه خلقه علـى الاستدلال على صحة البعث والاعادة فقال: أو لم يعلم أنا نقلناه من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن

المضغـة الى العظم ومن العظم الى أن جعلناه خلقاً سويّاً ثم جعلنا فيه الـروح وأخرجناه من بطـن أمه وربيّناه ونقلناه من حال الى حال الى أن كمـل عقله وصـار متكلماً خصيمـاً ذو بيان، فمن قدر علـى جميع ذلك فكيف لا يقدر علـى الاعادة وهي أسهل من الانشاء والابتداء. وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه أقام الحجة علـى المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى وألزم من أقرّ بالأولى أن يقرّ بالثانية.

سبب النزول:

قيـل أن أبيّ بن خلـف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يـا محمـد أتزعـم أن الله يبعث هذا فقـال نعم فنزلت الآيـة (اولم ير الانسان..) الى آخر السورة.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨)

أي ضـرب المثـل في إنكار البعث بالعظم البالـي وفتّه بيده وتتعجّب ممن يقول أن الله يحييه، وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩)

أي قـل يا محمد للجاحد المعانـد: أي عجب من إحياء العظام وهي رميم ؟ ان الذي جعل للنطفة سمعاً وبصراً، وبياناً هو الذي يعيد العظام الى سيرتها الأولى...

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (٨٠)

هـذا المثـال تتضـح منـه فكرة البعـث، وبيـان ذلـك أن المنكرين استبعدوا إحياء الموتى لا لشيء إلا لظنّهم أن الأشياء لا يمكن أن تتحول الـى أضدادها. فأجابهم سبحانه بأن هـذا الظن وهم وخيال، لأن هذا التحـول واقع بالفعـل، ومحسوس ترونـه أنتم صباحاً ومسـاء، ولكن لا تنتبهون إليه...فالشجر الأخضر الريان يتحول الى نار محرقة، والأرض الهامـدة تحيا وتهتـز بأنواع النبـات والأشجار إذا نـزل عليها الماء... فكيـف تنكرون إحياء العظـام البالية، وتقرون بإحيـاء الأرض الهامدة وتحـوّل الأشجـار الى نار مـع ان الجميع مـن باب واحـد، وهو انقلاب الشيء من حقيقة الى ضدها ؟

سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء !

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١)

هـذا استفهـام معناه التقريـر يعني من قـدر على خلـق السماوات والأرض واختراعهما مع عظمهما وكثرة أجزائهما يقدر على إعادة خلق البشر.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)

تبيـن الآية انّ أفعال الله تعالى تمـر بمرحلتين لا ثالث لهما، مرحلة الارادة ومرحلـة الايجـاد، وهي التـي عبرت عنه الآية بشـكل أمر وقول وجملة »كن »بدأ الخلق بها ويعيد بها.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

أي تنزيهـاً لـه من نفي القـدرة على الاعادة وغير ذلـك مما لا يليق بصفاته الذي بيده، أي بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر

علــى إحياء العظام الرميم وعلى خلق كل شيء وافنائه وإعادته (وإليه) يوم القيامة تردّون الى حيث لا يملك الأمر والنهي أحد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر أعمالكم.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكّية وآياتها مائة وإثنان وثمانون آية.

فضيلة تلاوة سورة الصافات:

جاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل جن وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرىء من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة، أنه كان مؤمناً بالمرسلين »[1]

وفي حديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة الصافات في كل جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة، مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا، مرزوقاً في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم، ولا جبار عنيد، وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً، وأماته شهيداً، وأدخله الجنة مع الشهداء في درجة من الجنة »[2]

محتوى سورة الصافات:

بصورة عامة يمكن تلخيص محتوى هذه السورة بخمسة جوانب:

الجانب الأول: يبحث حول مجاميع من ملائكة الرحمن، ومجموعة من الشياطين المتمردين ومصيرهم.

الجانب الثاني: يتحدث عن الكافرين، وإنكارهم للنبوة والمعاد،

(١) - مجمع البيان ج٨/ص ٦٨١

(٢) - نفس المصدر.

والعقاب الـذي ينتظرهم يوم القيامة، كما يستعرض الحوار الذي يدور بينهـم في ذلك اليوم، ويحملهـم جميعاً الذنب، والعـذاب الالهي الذي سيشملهم، كما يشرح جوانب من النعم الموجودة في الجنة إضافة الى ملذاتها وجمالها وسرور أهلها.

الجانـب الثالـث: يشـرح بصـورة مختصـرة تأريخ الأنبيـاء أمثال (نـوح) و(ابراهيـم) و(اسحـاق) و(موسـى) و(هـارون) و(إلياس) و(لـوط) و(يونس) عليهم السلام وبصـورة ذات تأثير قـوي، كما يتحدث هذا الجانـب بشكل مفصل عن ابراهيم عليه السلام محطم الأصنام وعن جوانب مختلفة من حياته.

الجانـب الرابـع: يعالج صورة معينة مـن صور الشرك والذي يمكن اعتبـاره من أسوأ صور الشرك، وهو الاعتقاد بوجود رابطة القرابة بين الله سبحانه والجن، والله والملائكة، ويبين كيف أن جملاً قصيرة تدك مثل هذه العقائد التافهة ولا تُبقي لها أدنى قيمة.

الجانـب الخامـس: ويتناول في عـدة آيات قصـار انتصار جيوش الحـق على جيوش الكفر والشرك والنفـاق، وابتلاءهم – أي الكافرين والمشركيـن والمنافقين – بالعـذاب الالهي، وتنزه آيـات هذا الجانب الله سبحانه وتقدسه عن الأشياء التي نسبها المشركون إليه، ثم تنتهي السورة بالحمد والثناء على الباري عزّ وجلّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا
أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

اللغة والبيان:

الصَّافَّات: تعني الصفوف المتعددة.

الزَّاجِرَات: فإنها مأخوذة من (الزجر) ويعني الصرف عن الشيء بالتخويف والصراخ.

التَّالِيَات: من (التلاوة) وهي جمع كلمة (تالٍ) وتعني طوائف مهمتها تلاوة شيء ما.

السَّمَاءَ الدُّنْيَا: هي أدنى السماوات وأقربها إلينا.

مَارِد: عاتٍ متمرد ومريد بفتح الميم مبالغة في المارد.

دُحُورًا: الدحور الطرد.

وَاصِبٌ: أي دائم.

ثَاقِبٌ: مضيء.

فَاسْتَفْتِهِمْ: فاسألهم.

طِينٍ لَازِبٍ: ملتزق بعضه ببعض.

داخرون: صاغرون.

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: صيحة واحدة.

يَوْمُ الدِّينِ: يوم الجزاء، ويوم الفصل بين الخلائق وتمييز المحق من المبطل.

الْيَمِينِ: يطلق على معانٍ، منها اليد، ومنها الجهة التي ضد اليسار، ومنها البركة والقوة، والمراد بها هنا الإغواء مجازاً بدليل جواب المتبوعين للتابعين:

﴿فأغويناكم انا كنا من الغاوين﴾

مَعِينٍ: ماء غزير.

لَذَّة: لذيذة.

غَوْلٌ: صداع.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ: لا يفنى شرابهم.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: يحبسن نظراتهن على أزواجهن.

عِينٌ: جمع عيناء وهي واسعة العينين.

مَكْنُونٌ: مستور.

قَرِينٌ: صاحب.

التفسير:

الملائكة المستعدة لتنفيذ المهام:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ (١)

أنهـا الملائكة تصف أنفسها صفوفاً في السماء كصفوف المؤمنين في الصلاة.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢)

أنها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجراً.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣)

انها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى المنزلة على الأنبياء عليهم السلام.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤)

جـواب القسم بتلك المقدسات التي ذكرناهـا فإن الأصنام ستزول وتدمـر، وإنه سبحانه واحد لا شريك له في الخلق والتدبير ولا شبيه ولا نظير له تعالى على الاطلاق.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (٥)

أي خالقهمـا ومدبرهمـا وكل مـا بينهمـا مـن سائـر الأجناس من

الحيـوان والنبـات والجمـــاد (وربّ) مطالع الشمس التـي بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب.

حفظ السماء من تسلل الشياطين:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (٦)

المعنـى أن الله سبحانـه جعـل الكواكـب فـي سمائنا زينـة وجمالاً بأشكالها وأنوارها، بالاضافـة الى منافعها وفوائدها: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُـومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِـي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿هـو الذي جعل الشمـس ضياء والقمر نوراً وقدره منـازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾[٢]

«وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ (٧)

المعنـى وحفظناهـا من دنـوّ كل شيطـان للاستمـاع فإنهـم كانوا يسترقـون السمع ويستمعون الى كلام الملائكة ويقولون ذلك الى ضعفة الجـن وكانوا يوسوسـون بها في قلوب الكهنـة ويوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك.

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨)

أي لكيـلا يتسمعوا الى الكتبة من الملائكة في السماء ويرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود الى السماء للاستماع.

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (٩)

أي دفعـاً لهـم بالعنف وطـرداً ولهم مع ذلك أيضاً عـذاب دائم يوم القيامة.

---

(١) – الانعام /٩٧

(٢) – يونس /٥

أولئك الذين لا يقبلون الحق:

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١٠)

والتقديـر لا يتسمعون الى الملائكة إلا من وثب الوثبة الى قريب من السمـاء فاختلـس خلسة من الملائكـة واستلب استلابـاً بسرعة فلحقه وأصابـه نار مضيئة محرقة والثاقب المنير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (١١)

خاطـب سبحانه نبيّه الكريم ﷺ فقال: سـل الذين ينكرون البعث: أيهمـا أعظم ؟ إحياؤهم بعد المـوت أو إيجاد هذا الكون بعجائبه ؟ وما من شك أن خلق الكون أعظم، إذن كيف أنكروا البعث، وناقضوا أنفسهم بأنفسهـم ؟ وقد خلقهم الله سبحانه من طين رخو لزج يلزم ما يجاوره ويلتصق به.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢)

أي انك تعجب يا محمد من المشركين حيث جعلوا لله شركاء مع أن دلائل التوحيد بينة واضحة.. وهم أيضاً يعجبون منك بل ويسخرون لأن دلائل الشرك هي البينة الواضحة في مفهومهم.. لا دلائل التوحيد.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣)

أي وإذا خوّفـوا بالله ووعظوا بالقـرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (١٤)

أي (وإذا رأوا آية) من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها يستهزؤون ويقولون هذا عمل السحر.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١٥)

أي وقالوا لتلك الآية ما هذا إلاّ سحر ظاهر وتمويه.

أإنا وآباؤنا لمبعوثون من جديد ؟

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦)

أي كيف يبعث من عفت القرون آثاره، وأصبح أشلاء وهباء.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ (١٧)

أي أو يبعث آباؤنا بعدما صاروا تراباً يعنون أن هذا لا يكون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (١٨)

أمر سبحانه نبيّه ﷺ أن يجيبهم بأنهم مبعوثون وأنتم صاغرون مهانون أذلاء.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩)

أي فإنما قصة البعث صيحة واحدة من إسرافيل فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله تعالى.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠)

أي يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (يا ويلنا) من العذاب وهي كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله يا حسرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال هذا يوم الحساب والجزاء، والمراد أنهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢١)

أخبر سبحانه عن حالهم فقال (هذا يوم الفصل) بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه، وذلك بأن يدخل المطيع الجنّة على وجه الاكرام، ويدخل العاصي النار

على وجه الاهانة، (الذي كنتم) يا معشر الكفار (به تكذّبون) وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢)

المعنى أنه يحشر غداً المشرك مع المشركين في مكان واحد من جهنم ومعهم الأصنام التي كانوا يعبدون، وكذلك السارق مع السارقين، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر، وهكذا كل شكل الى شكله قرين تماماً كما كانوا في الحياة الدنيا.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣)

أي بعد أن يتم حساب المجرمين يقال للملائكة: عجلوا بهم الى سواء الجحيم، سوقوهم الى طريقها.

المناقشات التي تدور في جهنم بين الاتباع والمتبوعين الضالين:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)

أي قبل أن تذهب الملائكة بالمجرمين الى جهنم يحبسون للسؤال عمّا كانوا يعملون، وفي بعض الروايات: يسأل المرء يومذاك عن عمره فيم أبلاه، وعن ماله مم كسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥)

الخطاب للمجرمين، والمعنى يقال لهم غداً: لماذا لا يدفع بعضكم العذاب عن بعض في هذا اليوم، وقد كنتم في الحياة الدنيا متكافلين متضامنين ضد الحق وأهله، والغرض من هذا السؤال التقريع والتوبيخ.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦)

أي منقادون خاضعون لأمر الله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧)

هـذا إخبار منه سبحانـه أن كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي أغـواه فيقول لـه على وجه التأنيب والتعنيف لِـمَ غرّرتني ويقول ذلك له لِـمَ قبلت مني وقيل يقبل الاتباع على المتبوعين والمتبوعون على الاتباع يتلاومون ويتعاتبون ويتخاصمون.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨)

أي يقول الكفار لِغواتهم أنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك أقررنا لكم، والعرب تتيمن بما جاء من اليمين.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩)

قالوا في جواب ذلك ليس الأمر كما قلتم (بل لم تكونوا) مصدّقين بالله سبحانه.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ (٣٠)

أي مـا كنا نملك القدرة والقـوة فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم ولاحق بكم (بل كنتم قوماً) خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد الى أفحش الظلم وأعظم المعاصي.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٣١)

أي قد كان من نتيجة كفرنا واغوائنا لكم، واستجابتكم لنا أن حقت علينا وعليكم كلمة العذاب، كما ترون... وليس بعد العذاب الذي نقاسيه من مستعتب.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ (٣٢)

أي أضللناكـم عن الحق ودعوناكم الى الغـي (إنا كنا) داخلين في الضلالة والغي.

مصير أئمة الضلال وأتباعهم:

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣)

المعنى أن ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الاتباع والمتبوعون كلهم في النار الاتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والاغواء.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤)

معناه أنا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين، عقاب صارم، وعذاب دائم من غير فرق بين التابع والمتبوع.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥)

أي تعالوا وتعاظموا عن قبول الحق وكلمته فأصابهم ما أصاب المستكبرين قبلهم من بأس الله سبحانه وعذابه.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ (٣٦)

أي يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم إليها ويقولون لا ندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبي ﷺ يدعونا الى خلافها.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧)

كلا ما هو بشاعر ولا مجنون، وإنما هو رسول كريم، جاء بالحق من عند الله سبحانه، وصدق من تقدم من الرسل، وما بين يديه من الكتاب.. واصطفاه الله لرسالته، وجعله سيد المرسلين وخاتم النبيين.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨)

أي أما أنتم أيها المستكبرون عمى القلوب، والضالون وأصحاب الألسن البذيئة، فإنكم ستذوقون العذاب الإلهي الأليم.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩)

أي على قدر أعمالكم، وحقيقة الأمر أن أعمالكم سوف تجسد أمامكم، لتبقى معكم لتؤذيكم وتعذبكم، وجزاؤكم إنما هو نتيجة أعمالكم وتكبركم وكفركم وعدم ايمانكم بالله وزعمكم بأن آيات الله

هي (شعر) ورسوله (مجنون) إضافة الى ظلمكم وارتكابكم القبائح.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠)

الذين أخلصوا العبادة لله تعالى وأطاعوه في كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب.

جوانب من النعم تغدق على أهل الجنّة:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١)

بيّـن سبحانه ما أعدّه لعباده المخلصين من أنواع النعم، حيث جعل لهـم التصرف في الرزق وحكـم لهم به في الأوقـات المستأنفة في كل وقت شيئاً معلوماً مقدّراً.

﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ (٤٢)

يفسّر سبحانه الرزق بأنّه (فواكه) وهي جمع فاكهة يقع على الرطب واليابـس من الثمار كلهـا يتفكهون بها ويتنعمـون بالتصرف فيها، ومع ذلك هم معظمون مبجلون.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٤٣)

أي وهم مع ذلك في بساتين فيها أنواع النعيم يتنعّمون بها.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤)

أشـار سبحانه الى هذه النعمة، وهـي استئناس اهل الجنة بمجالس السمـر التي يعقدونها مـع أصدقائهم في جو ملؤه الصفـاء، إذ أن أهل الجنـة يجلسون على سـرر متقابلـة يستمتع بعضهم بالنظـر الى وجوه بعض بغبطة وسرور.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٤٥)

أي يحمـل الولـدان اليهـم كؤوسـاً لا تنقطـع ولا تفـرغ مـن ألـوان الشراب.

﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦)

وصفها سبحانه بأنها أشربة طاهرة، خالية من ألوان الشياطين، وبيضاء اللون شفافة لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية، وهي لذيذة ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (٤٧)

أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا تصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس، ويقال للوجع غول لأنه يؤدي الى الهلاك، ولا شرابها يفنى ولا بصيرتهم تعمى.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨)

فواكه وتكريم وسرر وخدم وشراب، وفوق ذلك حور عفيفات جميلات واسعات العيون.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (٤٩)

أي إنهنّ نظيفات وطريفات، وذوات أجسام بيضاء صافية كالبيض الذي مكّنه الريش في العش فلم تمسه الأيدي ولم يصبه الغبار.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠)

يعني أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم من حين بعثوا الى أن أدخلوا الجنّة فيخبر كل صاحبه بإنعام الله تعالى عليه.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥١)

يتحدث هذا المؤمن من أهل الجنّة الى اخوانه عن جليس له في دار الدنيا كان يسخر من الذين آمنوا بيوم الدين، وأنّه كيف نؤمن بيوم البعث وهو ضلالة وخرافة.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

اللغة والبيان:

مَدِينُونَ: محاسبون ومجزيون.

مُطَّلِعُونَ: مشرفون.

سَوَاءِ الْجَحِيمِ: وسطها.

تُرْدِينِ: تهلكني.

مُحْضَرِينَ: من الاحضار، ،احضره جعله حاضراً، وقالوا لا تستعمل أحضر الاّ في الشر .

نُزُلًا: ما يهيء للنازل.

الزَّقُّومِ: شجرة تخرج في الجحيم كما قال سبحانه، وقيل: ان العرب تعرف لها نظير في الدنيا وانها مُرة وتوجد في تهامة.

طَلْعُهَا: أول ما يخرج من النخلة في أكمامه.

رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ: كناية عن قبح المنظر.

لَشَوْبًا: الشوب خلط الشيء بغيره.

حَمِيمٍ: الحار.

يُهْرَعُونَ: يسرعون.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ: أبقينا عليه ذكراً جميلاً.

شِيعَتِهِ: شيعة الرجل الجماعة السائرون على دينه وطريقه، ثم صارت هذه الكلمة بمفردها اسماً لشيعة الامام علي عليه السلام ومن قام مقامه من ابنائه.

أَئِفْكًا: أي زوراً وباطلاً.

فَرَاغَ: راغ مال وحاد من جهة الى جهة.

يَزِفُّونَ: يسرعون.

التفسير:

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢)

القريـن كان ينكر علـيّ ويستهجن لفعلـي كيف أصـدّق بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والاستفهام هنا على وجه الإنكار.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (٥٣)

المعنى أن ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد والاستنكار أنُبعث بعد أن صرنا تراباً وعظاماً بالية ونجازى على أعمالنا أي أن هـذا لا يكـون أبـداً وهذا أبلـغ في النفي من أن يقـول لا نبعث ولا نجازى.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ (٥٤)

أي ثـم قال هـذا المؤمن لاخوانه فـي الجنة هل أنتـم مطلعون على موضع من الجنة ومشرفون منه لتروا عاقبة ذاك الساخر المكابر.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٥٥)

قـال لهم المؤمن ما قالـه، وأشرف هو على جهنم فـرأى قرينه في قلبها.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ (٥٦)

أي فقـال لـه المؤمن بـأن أقسم بـالله سبحانه على وجـه التعجب إنك كـدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليـه حتى يكون هلاكي كهلاك المتردي من شاهق.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٥٧)

ولـولا توفيق ربّـي وهدايته وعصمتـه واللطف بي حتـى أمنت لكنت معك في النار والعذاب.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٥٨)

أي أنحن مخلدون فما من شأننا الموت.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩)

معناه أن هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع أما كنت في الدنيا تقول أنا لا نموت إلا الموتة التي تكون في الدنيا ولا نعذّب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠)

ما أعظم هذا الفوز الذي يغرق فيه الإنسان بنعمة الخلود والحياة الأبدية، وتشمله الألطاف الإلهية وماذا يتصور أفضل وأعظم من ذلك.

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١)

بعد تمام الحكاية عن قول أهل الجنّة قال سبحانه، لمثل هذا الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف، هذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة.

جوانب من العذاب الأليم الذي يعذب به أهل النار:

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢)

أي أذلك الذي ذكرناه من قرى أهل الجنّة وما أعدّ لهم خير في باب الإنزال التي يتقون بها ويمكن معها الإقامة أم نزل أهل النار التي فيها شجرة الزقوم، وهي شجرة صغيرة الورق كريهة الرائحة ذات لبن إذا أصاب جسد الإنسان تورم.

سبب النزول:

فقد روي أن قريشاً سمعت هذه الآية قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعري الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية بلغة اليمن فقال أبو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجرة والنار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه قوله:

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣)

إختباراً لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة لهم، فإنهم حين سمعوا أنها في النار قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف ينبته ! جهلاً بقدرة الله سبحانه، أو عذاباً لهم في الآخرة.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤)

اي أن الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم وأغصانها ترفع الى دركاتها، ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل والأغلال فيها وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها وكذلك الضريع وما أشبه ذلك.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٥)

تشبيه ثمرة الزقوم برؤوس الشياطين، بعناية أن العامية تصور الشيطان في أقبح صورة.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٦٦)

يعني أن أهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة ويملأون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع، وقد روي: أن الله تعالى يجوّعهم

حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون الى مالك فيحملهم الى تلك الشجرة وفيهم ابو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يشوي الوجوه فإذا وصل الى بطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه: يصهر ما في بطونهم والجلود، فذلك شرابهم وطعامهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٦٧)

بعد أن يتناول الجهنميون من شجرة الزقوم، هذا الطعام السيء المر، يصيبهم العطش، ولكن حين يشعرون بالعطش ماذا يشربون؟ يشربون خليطاً ومزاجاً من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب، وقيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (٦٨)

المراد بمرجعهم سكنهم الأخير ومقرهم الدائم، والمعنى طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، وسكنهم الجحيم.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ (٦٩)

أي أن هؤلاء الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق والدين.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (٧٠)

هذه إشارة الى أنهم كانوا يقلدون آباءهم قلباً ودیناً، وأنهم كانوا يحثون الخطى على آثارهم، ومن دون أي ارادة، وإشارة أخرى الى تعصبهم وتمسكهم بالخرافات التي كان اجدادهم الضالون يعتقدون بها.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١)

فمشركو مكة ليسوا هم الوحيدين الذين ابتلوا بالضلال نتيجة

سيرهم على نهج أجدادهم الأولين، وإنما ابتليت قبلهم الكثير من الأمم السابقة بنفس المصير، وهذا التذكير تسلية للنبي ﷺ وصحبه القلة، الذين كانوا في مكة مُحاصرين من قبل العدو من كل الجوانب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٧٢)

الله سبحانه بعث اليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين، واتخذ عليهم الحجة وبيّن لهم محابّه ومكارهه من الأعمال، فاتبعوا معاصيه، واجتنبوا مراضيه، فحقت عليهم كلمة العذاب.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣)

المعنى فانظر يا محمد ﷺ كيف أهلكتهم وماذا حلّ بهم من العذاب وكذلك تكون عاقبة المكذبين.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٧٤)

استثنى سبحانه من المنذرين الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلّصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب.

مقتطفات من قصة نوح عليه السلام :

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥)

أي دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لننصره عليهم وذلك قوله إنّي مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن لنوح عليه السلام في دعائه أجبناه الى ما سأل وخلّصناه من أذى قومه بإهلاكهم.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦)

استنصر نوح عليه السلام سبحانه على طغاة قومه، فأغرقهم الله ولم يبق منهم دياراً استجابة لدعاء نبيه نوح عليه السلام ونجاه ومن معه من أذى الكفرة الفجرة ومن كل كرب وسوء.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧)

لمّا خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤهم، فالعرب والعجم من أولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح والسودان من أولاد حام بن نوح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨)

أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في أمة محمد ﷺ.

﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)

أي تركنا عليه أن يصلى عليه الى يوم القيامة فكأنه قال وتركنا عليه التسليم في الآخرين ثم فسّر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠)

معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١)

لأنه أحسن في أعماله وجاهد في الله تعالى حق جهاده، وهذه هي سمات المؤمن ودلائله.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٨٢)

أي من لم يؤمن به، أخبركم أني أغرقته في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم جزاء بما كانوا يعملون.

قصة نوح عليه السلام في القرآن:

كان الناس بعد آدم عليه السلام يعيشون أمّةً واحدة على بساطة وسذاجة، وهم على الفطرة الانسانية حتى فشا فيهم روح الاستكبار وآل الى استعلاء البعض على البعض تدريجياً واتّخاذ بعضهم بعضاً أرباباً وهذه هي النّواة الأصلية التي لو نشأت واخضرت وأينعت لم تثمر إلا دين الوثنية والاختلاف الشّديد بين الطبقات الاجتماعية باستخدام القويّ للضعيف، واسترقاق العزيز واستدرار للذليل، وحدوث المنازعات والمشاجرات بين النّاس، فشاع في زمن نوح عليه السلام الفساد في الأرض، وأعرض الناس عن دين التوحيد وعن سنّة العدل الاجتماعي واقبلوا على عبادة الأصنام، وقد سمّى الله سبحانه منها ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً.

وتباعدت الطّبقات فصار الأقوياء بالأموال والأولاد يضيّعون حقوق الضعفاء والجبابرة يستضعفون من دونهم ويحكمون عليهم بما تهواه أنفسهم فبعث الله تعالى نوحاً عليه السلام وأرسله إليهم بالكتاب والشّريعة يدعوهم الى توحيد الله سبحانه وخلع الأنداد والمساواة فيما بينهم.

دينه وشريعته عليه السلام :

كان عليه السلام يدعوهم الى توحيد الله سبحانه ورفض الشركاء والاسلام لله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلاة، والمساواة والعدالة وأن لا يقربوا الفواحش والمنكرات وصدق الحديث والوفاء بالعهد، وهو عليه السلام اول من حكي عنه في القرآن التسمية باسم الله في الأمور الهامة (سورة هود الآية ٤١).

اجتهاده عليه السلام في دعوته:

وكان عليه السلام يدعو قومه الى الايمان بالله وآياته، ويبذل في ذلك غاية وسعه فيندبهم الى الحقّ ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً فلا يجيبونه إلا بالعناد والاستكبار وكلما زاد في دعائهم زادوا في عتوّهم وكفرهم، ولم يؤمن به غير أهله وعدّة قليلة من غيرهم حتى ايس من إيمانهم وشكا ذلك الى ربّه وطلب منه النّصر.

لبثه عليه السلام في قومه:

لبث عليه السلام في قومه ألفا إلا خمسين عاماً يدعوهم الى الله سبحانه فلم يجيبوه إلا بالهزء والسخرية ورميه بالجنون وأنه يقصد به أن يتفضل عليهم حتى استنصره ربّه، فأوحى إليه ربه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن وعزاه فيهم، فدعا عليهم بالتّبار والهلاك، وان يُطهّر الله الأرض منهم عن آخرهم، فأوحى الله تعالى أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا (سورة هود).

صنعه عليه السلام الفلك:

أمره الله تعالى أن يصنع الفلك بتأييده سبحانه وتسديده فأخذ في صنعها وكان القوم يمرّون عليه طائفة بعد طائفة فيسخرون منه وهو يصنعها على بسيط الأرض من غير ماء، ويقول عليه السلام: إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم (سورة هود) وقد نصب الله تعالى لنزول العذاب علماً وهو أن يفور الماء في التنور.

نزول العذاب ومجيء الطوفان:

حتى إذا تمّت صنعة الفلك وجاء أمر الله سبحانه وفار التنور اوصى الله تعالى إليه أن يحمل في السفينة من كلٍّ من الحيوان زوجين اثنين

وأن يحمل أهله إلاّ من سبق عليه القول الإلهي بالغرق وهو امرأته الخائنة وابنه الذي تخلّف من ركوب السفينة، وأن يحمل الذين آمنوا، فلما حملهم وركبوا جميعاً فتح الله تعالى أبواب السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وعلا الماء وارتفعت السفينة عليه وهي تسير في موج كالجبال، فأخذ الناس الطوفان وهم ظالمون وقد أمره الله تعالى إذا استوى هو ومن معه على الفلك أن يحمد الله على ما نجّاه من القوم الظالمين وأن يسأله البركة في نزوله فيقول: الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، ويقول: رب أنزلني مُنزلاً مباركاً وانت خير المنزلين.

قضاء الأمر ونزوله ومن معه الى الأرض:

فلما عمّ الطوفان وأغرق الناس أمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها والسّماء أن تقلع وغيض الماء واستوت السفينة على جبل الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين، وأوحي الى نوح عليه السلام أن اهبط الى الأرض بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك فلا يأخذهم بعد هذا طوفان عام، ومنهم أمم سيمتعهم الله بأمتعة الحياة ثم يمسّهم عذاب أليم فخرج هو ومن معه ونزلوا الأرض يعبدون الله بالتوحيد والاسلام، وتوارثت الأرض ذرّيته عليه السلام وجعل الله ذريته هم الباقين.

اسلوب ابراهيم عليه السلام الفطن في تحطيم الأصنام:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣)

أي وإن من شيعة نوح عليه السلام يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤)

أي حين صدق الله سبحانه وآمن به بقلب سليم خالص من الشرك بريء من المعاصي والغل والغش، على ذلك عاش وعليه مات.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥)

حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله تعالى على وجه الاستهجان لفعالهم والتقريع لهم قال لهم: أي شيء تعبدون.

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦)

الإفك هو أشنع الكذب وافظعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان الكذب افكاً وإنما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهّمهم الفاسد في تأليه الأصنام لمّا اعتقدوا أنها تستحق العبادة دون عبادة الرحمن.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)

معناه ما تظنون بربكم انه على أي صفة ومن أي جنس من أجناس الأشياء حين شبّهتم به هذه الأصنام، وفيه إشارة الى أنه لا يشبه شيئاً.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨)

يوهم قومه انه يبحث عن خالق الكون لأنهم كانوا يعبدون آلهة كثيرة.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩)

للمفسرين في معنى سقيم اقوال، ارجحها أن المراد به هنا الشاكّ، وعليه يكون المعنى ان ابراهيم عليه السلام قال لقومه: أنا الآن في حيرة أبحث وأدقق لأهتدي الى معرفة الخالق، وقد نظرت في الأصنام فايقنت أنها ليست بآلهة، ثم نظرت في النجوم فلم اهتدِ الى شيء بل بقيت على شكي وحيرتي. والسياق يعين إرادة هذا المعنى أو يرجحه – على الأقل – لأنه ربط بين قوله: اني سقيم وبين نظرته في النجوم..

وليس في قوله: إني اشك أي كذب.. كلا، لأنه من باب المماشاة مع الخصم ليأخذه بالحجة، ويقطع عليه كل معذرة.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠)

إخبار عن قومه انهم لما سمعوا قوله اني سقيم تركوه وأعرضوا عنه وخرجوا الى عيدهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١)

معناه فمال الى اصنامهم التي كانوا يدعونها آلهة خاطبها وإن كانت جماداً على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على أن من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصحّ عبادتها وكانوا صنعوا للأصنام طعاما تقرباً اليها وتبركاً بها فلما لم تجيبوه قال:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢)

زيادة في تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها أي ما لكم لا تجيبون وفي هذا تنبيه على أنها جماد لا تأكل ولا تنطق فهي أخس الأشياء وأقلها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣)

مال على الأصنام يحطمها بيمينه حتى جعلها قطعاً قطعاً الاّ كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ (٩٤)

أي اسرع القوم بعد الفراغ من عيدهم الى ابراهيم عليه السلام وقالوا له: أأنت فعلت هذا يا ابراهيم.

فشل مخططات المشركين:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥)

فهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ أي كيف يصحّ أن يعبد الانسان

ما يعمله بيده فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم.

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

أي وخلق ما عملتم من الأصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧)

لمّا عجزوا عن مقابلة الحجة بالحجة فلجأوا الى القوة كما هو شأن الطغاة، بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاءوه ناراً وطرحوه فيها.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨)

أي ارادوا به حيلة وتدبيراً في إهلاكه واحراقه بالنار فأهلكناهم ونجيّنا إبراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٩٩)

اي قال ابراهيم عليه السلام: إني مهاجرٌ الى ربي أي أهجر ديار الكفار واذهب الى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه وهي الأرض المقدسة (سيهديني) ربي فيما بعد الى طريق المكان الذي أمرني بالمصير إليه أو الى الجنّة بطاعتي إياه.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠)

بلغ ابراهيم عليه السلام من الكبر عتياً، ولم يرزق ولداً، فسأل ربه أن يهبه ذرية مؤمنة وخلفاً صالحاً.

ابراهيم عليه السلام عند المذبح:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١)

أخبر سبحانه أنه استجاب لإبراهيم عليه السلام دعاءه وبشره انه سيرزقه غلاماً حليماً، وهو اسماعيل عليه السلام، ما في ذلك ريب، بشهادة القرآن

الكريم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(١٠٢)

لمّا كبر اسماعيل عليه السلام وترعرع، واستطاع أن يساعد اباه في عمله وقد رأى ابراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح أو يقدم على ذبح ولده، ففهم من هذه الرؤيا ان الله تعالى قد أمره بذبحه.. وفهم الأنبياء يقين، ومن أجل هذا عزم من غير تردد على أن يحقق رؤياه بالفعل، وأخبر ولده بعزمه وطلب منه أن يبدي رأيه في ذلك بعد النظر والتأمل، اجابه على الفور لا رأي لي ولا امر مع أمر الله وأمرك.. يا ابت اذبحني فلا قيمة للحياة في جنب مرضاة الله تعالى ومرضاتك.. افصل يا ابت رأسي عن جسدي وأنت عندي البر الرحيم ما دمت تبغي وجه الله سبحانه وتستجيب لدعواه.. ثم أخذ اسماعيل عليه السلام يخفف عن أبيه ويهون عليه أمر الذبح ويقول: أتلقى الذبح رابط الجأش قوي اليقين.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

اللغة والبيان:

أَسْلَمَا: استسلما لأمر الله سبحانه.

وَتَلَّهُ: صرعه والقى به على الأرض.

لِلْجَبِينِ: الجبين عن يمين الجبهة وشمالها، والجبهة مكان السجود أي أن ابراهيم عليه السلام ألقى ولده على شقه.

بِذِبْحٍ: بكسر الذال المهيأ للذبح.

مَنَنَّا: المن القطع ومنه قوله لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع.

الْمُسْتَبِينَ: الواضح.

بَعْلًا: بعل اسم صنم.

الْغَابِرِينَ: أي الباقين مع الذين كفروا، وأيضاً تأتي كلمة غبر بمعنى ذهب.

مُصْبِحِينَ: داخلين في الصباح.

أَبَقَ: فرَّ.

فَسَاهَمَ: ساهم أقرع من القرعة.

الْمُدْحَضِينَ: المغلوبين.

مُلِيمٌ: فعل ما يستحق عليه اللوم والعتاب.

الْعَرَاءِ: المكان الخالي.

التفسير:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣)

أي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه اضطجعه على جبينه.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٠٤)

تقديره ناديناه بأن يا ابراهيم أي بهذا الضرب من القول:

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥)

أي فعلت ما أمرت به في الرؤيا، وكما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقهما في الإحسان بالاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (١٠٦)

أي إن هذا لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧)

معناه انا جعلنا الذبح بدلاً عنه كالأسير يفدى بشيء واختلف في الذبح فقيل كان كبشاً من الغنم، وقال آخر: بل كان وعلاً.. وايا كان الفداء فنحن غير مسؤولين عن معرفة نوعه، ولا تتصل هذه المعرفة بحياتنا من قريب او بعيد.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨)

أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في أمة محمد ﷺ.

سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)

تحية منه تعالى عليه.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠)

معناه مثل ما فعلنا بابراهيم عليه السلام نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم.

إبراهيم عليه السلام عبد مؤمن بالله سبحانه:

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١)

يعني ابراهيم عليه السلام وهذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل ابراهيم عليه السلام وقد بينا قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن في تفسير سورة مريم عليها السلام.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢)

هذه البشارة لابراهيم عليه السلام بولدٍ ثانٍ من جملة الأنبياء الصالحين انما هي جزاء على صبره وإقدامه على ذبح ولده طاعة لله سبحانه وفي قاموس الكتاب المقدس: ان سارة ولدت اسحاق ولها من العمر ٩٠ سنة، ولابراهيم مئة سنة، وان معنى اسحاق في العبرية يضحك. أما هاجر فقد ولدت اسماعيل ولابراهيم من العمر ست وثمانون سنة.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٣)

أي وجعلنا فيما اعطينا ابراهيم عليه السلام وإسحاق الخير الثابت والنماء والزيادة، ومن أولادهما محسن وهو الذي اتبع ملة أبيه بالايمان والطاعة، وظالم وهو من حاد عنها بالكفر والمعاصي البيّنة الظلم.

قصة بشارة ابراهيم عليه السلام :

روى العياشي بإسناده عن بريدة بن معاوية العجلي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كم كان بين بشارة ابراهيم عليه السلام باسماعيل عليه السلام وبين بشارته بإسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه «فبشرناه بغلام حليم» يعني اسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها ابراهيم في الولد ولما ولد لابراهيم إسحاق من سارة وبلغ إسحاق ثلاث سنين اقبل اسماعيل عليه السلام الى إسحاق وهو في حجر ابراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا ابراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو في مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابداً فنحّهما عني وكان ابراهيم مكرماً لسارة يعزّها ويعرف حقها وذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء وبنت خالته فشقّ ذلك

على ابراهيم عليه السلام واغتمّ لفراق اسماعيل عليه السلام فلما كان في الليل أتى ابراهيم عليه السلام آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه اسماعيل عليه السلام بموسم مكة فأصبح ابراهيم عليه السلام حزيناً للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجر واسماعيل عليهما السلام في ذي الحجة من أرض الشام فانطلق بهما الى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما دفع قواعده خرج الى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ورجع الى مكة فطافا بالبيت اسبوعاً ثم انطلقا الى السعي فلما صارا في المسعى قال ابراهيم عليه السلام لاسماعيل عليه السلام يا بني إني أرى في المنام اني أذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى قال: يا أبت افعل ما تؤمر. فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم عليه السلام الى منى وذلك يوم النحر، فلما انتهى به الى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الى آخره وفدى اسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين.

النعم التي منّ بها الله تعالى على موسى وهارون عليهما السلام :

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١١٤)

أي أنعمنا عليهما نعماً قطعت عنهما كل أذيّة فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها سائر النعم الدينية والدنيوية.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٥)

من طبيعة اليهود أن يتقبلوا كل شيء من اجل المال وجمعه حتى الذل والعار.. هذا ما نطق به تاريخهم، فلقد استعبدهم فرعون ولم يحركوا ساكناً حتى جعل الله لهم على يد موسى عليه السلام من الكرب والبلاء فرجاً ومخرجاً.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٦)

أغرق سبحانه فرعون وجنوده، فتحرر بنو اسرائيل من المذلة والعبودية، فأصبحوا قاهرين بعد أن كانوا مقهورين.

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ (١١٧)

أنزل سبحانه على موسى وهارون التوراة وفيها أحكام الله الواجبات.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٨)

أي دللناهما على الطريق المؤدي الى الحق الموصل الى الجنة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩)

أي تركنا عليهما ذكراً واثنينا عليهما في أمة محمد ﷺ.

﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢٠)

معناه سلامة منّا على موسى وهارون عليهما السلام، وقد ذكرنا قصتهما في سورة مريم عليهما السلام.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢١)

مثل ما فعلنا بهما نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعتهم وفي هذا دلالة على أن ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهارون عليهما السلام ومن تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٢)

أي من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك.

رسول الله إلياس ومواجهته للمشركين:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣)

قال المفسرون: الياس عليه السلام هو واحد من أنبياء بني اسرائيل، وان

نسبــه ينتهي الى هارون. وفي أكثر من تفسير: ان الياس عليه السلام هذا هو النبي إدريس عليه السلام الذي جاء ذكره في الآية ٥٦ من سورة مريم عليها السلام والآيــة ٨٥ من ســورة الأنبياء، «وفي قاموس الكتــاب المقدس»: ان ايليا اسم عبري، ومعناه الهي يهوه والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي الياس، وتستعمل أحياناً في العربية.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٢٤)

أرشدهــم الى التوحيــد، وحذرهم من الشرك تمامــاً كما فعل غيره من الأنبياء.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (١٢٥)

مــن هنا يتضح أن قومه كانوا يعبدون صنماً اسمه (بعل) ويسجدون لــه، وأنــه كان يدعوهم الى ترك هــذا العمل القبيــح، والتوجه الى الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون العظيم لتوحيده وعبادته.

جمــع من المفسرين استشفوا مــن اسم هذا الصنم، أن الياس كان مبعوثاً الى مدينة بعلبك إحدى مدن بلاد الشام.

وكما بيّنا فإن (بعل) هو اسم ذلك الصنم و(بك) تعني مدينة، ومن تركيــب هاتين الكلمتيــن نحصل على كلمة (بعلبك) وقيــل: إن الصنم (بعــل) كان مصنوعاً من الذهب وطوله حوالــي (٢٠) ذراعاً وله اربعة أوجه، وخدمته كانوا (٤٠٠) شخصاً.

ولكن البعض قالوا: إن (بعل) لم تطلق على صنم معين، وإنما تطلق بصــورة عامة على الأصنام، فيما قــال البعض الآخر: إنها تعني (الرب المعبود). وقال (الراغب) في مفرداته: إن كلمة بعل تعني (الزوج) اما العــرب فتطلقها على الأصنام التي تعبدها والتي بواسطتها يقربون الى الله سبحانه على حد زعمهم.

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢٦)

أي خالقكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة وخالق من مضى من آبائكم وأجدادكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٢٧)

أعرضوا عن دعوته، فيحضرهم الله يوم القيامة للحساب والعذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٢٨)

استثنى من جملتهم الذين أخلصوا عبادتهم لله سبحانه من قوم الياس عليه السلام، فإنهم بمنجاة من العذاب ولهم أجر كريم.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩)

أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ (١٣٠)

قال جماعة من المفسرين: ان أبا الياس عليه السلام اسمه يس، فعليه يكون المراد بأل ياسين الياس بالذات لأن الابن من آل الأب، ومهما يكن فإن المقصود هنا بأل ياسين هو الياس بقرينة السياق، فلقد ذكر سبحانه في الآيات السابقة نوحاً وقال: سلام على نوح، ثم ذكر ابراهيم واتبعه بقوله: سلام على ابراهيم، ثم موسى وهارون، وقال: سلام على موسى وهارون، ثم ذكر الياس وأنه من المرسلين، وقال: سلام على إل ياسين، فتعين انه هو المقصود من آل يس.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١)

مثل ما فعلنا بإلياس نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢)

أي المصدقين العاملين بما أوجبنا عليهم.

من هو إلياس؟

لا يوجد أي شك في أن إلياس عليه السلام هو أحد أنبياء الله الكبار، وآيات بحثنا تصرح بهذا الأمر، قال تعالى: (إن إلياس لمن المرسلين).

إسم نبي الله (إلياس) جاء في آيتين من آيات القرآن المجيد، الأولى في هذه السورة، أي سورة الصافات، والثانية في سورة الأنعام الآية (٨٥) إذ ذكر اسمه مع مجموعة أخرى من الأنبياء (وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين).

وأبدى المفسرون وجهات نظر متعددة بشأن إلياس عليه السلام، إذ أن البعض تساءل هل أن اسم الياس عليه السلام هو اسم ثان لنبي واحد، أم أنه يتعلق بنبي ليس له اسم ثان، وما هي صفات وخصائص هذا النبي؟

للإجابة على هذه التساؤلات نستعرض وجهات النظر المتعددة تلك:

أ - يعتقد البعض أن الياس عليه السلام هو إدريس (لأن كلمة إدريس، تلفظ إدراس، وبعد أن طرأت عليها تغيرات بسيطة أصبحت إلياس).

ب - إلياس عليه السلام هو أحد أنبياء بني اسرائيل، وهو ابن (ياسين) أحد أحفاد أخي نبي الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

جـ - مجموعة من المفسرين اعتبرت أن إلياس هو الخضر. في حين أعربت مجموعة أخرى عن اعتقادها في أن إلياس هو صديق الخضر، وكلاهما ما زال حياً، وأن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار والجزر.

ومجموعة ثالثة أكدت على أن إلياس موكل بالصحاري والخضر موكل بالجبال، ويقولون بخلود الاثنين.

أما الرأي الأخير فهو أن إلياس ابن (اليسع)

د- إلياس هو نفسه (إيليا) نبي بني إسرائيل الذي عاصر الملك (آجاب) والذي أرسله الباري عزّ وجلّ لإنذار وهداية (آجاب) الطاغية المتجبر.

والبعض قال: إنه يحيى معمدان المسيح.

ولكن الذي يتناسب وظاهر آيات القرآن الكريم هو أن هذا الاسم اسم أحد أنبياء الله غير تلك الأسماء التي وردت في القرآن المجيد، وأنه كان قد بعث لهداية قوم يعبدون الأصنام، فكذبه أكثر القوم، عدا مجموعة من المؤمنين المخلصين الذين صدقوه.

وكما أشرنا سابقاً فإن البعض يعتقد بأنه بعث الى أرض في بلاد الشام، إستناداً الى اسم الصنم (بعل) الذي كان يعبده القوم الموجودون في تلك المنطقة، وهي بعلبك التي هي اليوم إحدى مدن لبنان وتقع قرب الحدود السورية.

ارض قوم لوط عليه السلام المدمرة أمامكم:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣)

أي رسولاً من جملة من أرسله الله الى خلقه داعياً لهم الى طاعته ومنبّهاً لهم على وحدانيته.

﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣٤)

إذ يتعلق بمحذوف وكأنه قيل أذكر يا محمد ﷺ إذ نجيناه أي خلّصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستئصال.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (١٣٥)

عدا زوجته العجوز التي جعلناها مع من بقي في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٣٦)

أي أهلكناهم بعد نجاة من آمن من قوم لوط.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ (١٣٧)

هذا خطاب لمشركي العرب أي تمرّون في ذهابكم ومجيئكم الى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل.

﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٨)

أي ألا تعتبرون بهم ومن كَثُر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان أولوم ممن قلّ ذلك عنه والمعنى أفلا تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه في ذكر قصص الأنبياء وتكريرها التشويق الى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوىء الخصال ومقابح الأفعال.

قصة لوط عليه السلام :

كان لوط عليه السلام قد آمن بدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام الذي بعث في أرض بابل ثم رافقه في هجرته الى الأرض المباركة فلسطين، ولما استقر في بلاد الأردن واقام في إحدى مدنها التي تسمى (سدوم) ويعبر القرآن عن هذه القرية وما حولها من القرى الصغيرة بالمؤتفكات، بعثه الله تعالى الى هداية اهلها فدعاهم الى الايمان بالله وطاعته وحذرهم من مغبة أعمالهم خصوصاً ممارسة الفاحشة النكراء التي ابتدعتها نفوسهم المريضة، ومع ذلك كله لم يؤثر فيهم حيث كان اهلها

يقطعون الطريق ويمارسون مع المارة عمليات السلب والشذوذ الجنسي ويتعاطون في مجالسهم كل رذيلة ومنكر وفساد، فعارضه قومه وهددوه بإخراجه من قريتهم، فعند ذلك قضت مشيئة الله سبحانه بتطهير الأرض من الفاسقين الذين أمعنوا في ارتكاب الفواحش ولم يبق بصيص من الأمل في انتشالهم من هذا الوحل، فأرسل الله تعالى الى لوط عليه السلام ملائكة على صورة البشر وأنبأوه بالأمر الالهي القاضي بإهلاك قومه الفاسقين وقطع دابرهم فأهلكهم بأسباب مختلفة هي: (الصيحة،قلب الأرض أسفلها أعلاها،الإمطار بالحجارة..).

يونس عليه السلام في بوتقة الامتحان:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩)

أي من جملة من أرسله الله الى خلقه داعياً لهم الى طاعته ومنبّهاً لهم على وحدانيته.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١٤٠)

أي فرّ من قومه الى السفينة المملوءة من الناس والأحمال خوفاً من أن ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١)

أي قارعهم يونس عليه السلام بأن القى القوم السهام على سبيل القرعة فكان من المقروعين وسبب ذلك لما توسط البحر أشرفت السفينة على الغرق، وكان لا بد من القاء واحد من ركابها في البحر لتنجو من الغرق، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام، فألقى نفسه في البحر.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

أي ابتلعه وهو مستحق للَّوم: لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه

مـن بيـن قومه مـن غير امر ربـه، وعندنا أن ذلـك إنما وقـع منه تركاً للمنـدوب وقد يلام الانسان علـى ترك المندوب، اختلـف في مدة لبثه فـي بطن الحـوت فقيل كانت ثلاثة أيام وقيل سبعـة أيام، وقيل عشرين يومـاً وقيل أربعين يوماً، كما قيـل ان الله سبحانه اوحى الى الحوت أني لـم أجعل عبدي رزقاً لـك ولكني جعلت بطنك مسجداً له فلا تكسرنّ له عظماً ولا تخدشنّ له جلداً.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣)

أي أنـه كان مكـرراً ومـرددا: لا إلـه إلا أنت سبحانـك إني كنت من الظالمين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤٤)

أي لصار بطن الحوت قبراً له الى يوم القيامة.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥)

أي فطرحنـاه بالمكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر وهو مريض حين القاه الحوت.

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦)

قالـوا: خرج من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو القرع ليستظل بها.

«وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧)

أرسلـه سبحانه الى هـذا العدد، فأعرضوا فـي البداية ولما تركهم مغاضباً خافوا من نقمة الله وعذابه.

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (١٤٨)

فآمنـوا بالله وطلبوا منـه العفو والرحمة، فعفـا عنهم وأنجاهم من

الهـلاك الى أن وافاهم الأجل، وعاد إليهم يونس ففرحوا بقدومه وفرح بإيمانهم.

قصة يونس عليه السلام :

وصف الله سبحانه يونس بأنه من المرسلين والصالحين وبصاحب الحوت، وبـذي النون أي الحوت، وأيضاً وصفـه بالمغاضب لقومه، لأنه دعاهـم الى الايمان فلـم يستجيبوا له، فدعا الله عليهـم، ورحل عنهم يائساً من إيمانهم.. أما قوم يونس فقد زاد عددهم على مئة ألف.

قـال المفسـرون: ان قـوم يونس كانـوا يقيمـون بنينوى مـن أرض الموصـل، وأنهـم كانوا يعبـدون الأصنـام، فنهاهم يونس عـن الكفر، وأمرهـم بالتوحيـد، فأصـروا على الشـرك شأنهم في ذلـك شأن من تقدمهـم مـن أقـوام الأنبياء.وبعد أن رحـل يونس عن قومـه اتتهم نذر العـذاب، وطلائع الهلاك من السماء فتابـوا الى الله، ودعوه مخلصين أن يكشف عنهم العذاب، ففعل، وأبقاهم الى انقضاء آجالهم.

وقال المفسـرون أيضاً: أن قوم يونس لبسـوا المسوح، وخرجوا الى الصحراء، ومعهم النساء والأطفال والدواب وفرقوا بين كل والدة وولدها انسانـاً وحيوانـاً، فحـنّ بعضها الى بعض، وعلت اصواتهـا، واختلطت أصوات الآدميين باصوات الحيوانات، فرفع الله عنهم العذاب، ورجعوا الى ديارهم آمنين.

أمـا يونـس عليه السلام فقد ضـرب في الأرض، حتى انتهـى الى ساحل البحر، فوجـد جماعة في سفينـة، فسألهم أن يصحبـوه، ففعلوا، ولما توسطـوا البحـر بعث الله عليهم حوتـاً عظيماً حبس عليهـم سفينتهم، فأيقنوا أنه يطلب واحداً منهم، فاتفقوا على الاقتراع، فوقع السهم على

يونس عليه السلام فألقوه أو ألقى هو نفسه في البحر، فابتلعه الحوت، وألهم الله تعالى الحوت أن يطوي يونس في بطنه، دون أن يمسه بأذى، وفزع يونس عليه السلام الى ربّه يناديه، ويستجير به، وهو في جوف الحوت.

ثم نبذه الحوت على ساحل البحر بعد أن لبث في جوفه ما شاء الله أن يلبث.

قال المفسرون: أن يونس خرج من بطن الحوت كالفرخ الممتعط، وأن الله أنبت عليه شجرة من يقطين يستظل بها: قالوا وعاد يونس عليه السلام بعد هذا الى قومه، ففرحوا بقدومه، وفرح هو بإيمانهم.

التهم القبيحة والفاضحة:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩)

عاد الكلام الى الرد على مشركي العرب فقال سبحانه: سلهم واطلب الحكم منهم في هذه القصة. كيف اضفتم البنات الى الله تعالى واخترتم لأنفسكم البنين وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٥٠)

أي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ (١٥١)

أي أنهم من أجل انصرافهم عن التوحيد الى الشرك قالوا:

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٥٢)

أي أن لله ولداً.. وليس من شك أنهم كاذبون في هذا القول.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (١٥٣)

المعنى كيف يختار الله سبحانه الإناث على الذكور مع كونه مالكاً حكيماً.

مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ
﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ
نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا
لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ
سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ
يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ
صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ
يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

اللغة والبيان:

بِفَاتِنِينَ: بمضلين ومفسدين.

صَالِ الْجَحِيمِ: معـذّب فيها، وحذفت الياء مـن صالي للتخفيف والكسرة دليل عليها.

ذِكْرًا: المراد بالذكر هنا الكتاب.

بِسَاحَتِهِمْ: الساحة تعني فناء البيت أو الفضاء الموجود في وسط البيت، والديار.

صَبَاحُ: المراد هنا يوم العذاب.

التفسير:

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤)

وبّخهـم سبحانه لكـون قولهم حكماً مـن غير دليل بـأن لله البنات ولأنفسهم البنين.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥)

أي أفلا تتعظون فتنتهون عن مثل هذا القول.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ (١٥٦)

أي حجّـة بيّنـة على مـا تقولون وتدّعـون وهذا كله انـكار في صورة الاستفهام.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥٧)

المعنى فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه الحجة.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨)

أي كيـف يكون نسب بينه وبين الجن، وهـم يعلمون أن الله سبحانه خلقهم وأنه يبعثهم ويسألهم عمّا كانوا يعملون.

﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٥٩)

نزّه سبحانه نفسه عمّا وصفوه به وأضافوه إليه.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٠)

استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين بما لا يليق به عزّ وجلّ.

الادعاءات الكاذبة:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١)

المعنى إنكم يا معشر الكفار والذي تعبدونه.

﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ (١٦٢)

نعم، لا يستطيع أحد خداع الطاهرين والمخلصين أو جرهم الى الفتن والفساد وحرفهم عن الطريق المؤدي الى الله سبحانه.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣)

المعنى أنكم أيها المجرمون أنتم وكل ما تعبدون وما تدبرون، أعجز وأحقر من أن تفسدوا وتضلّلوا أحداً من الناس إلا من هو مثلكم من الفجار وأهل النار.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٦٤)

هذا من كلام الملائكة يردون به على من قال: لله بنات من الملائكة، والمعنى نحن عباد الرحمن، ولكل منّا حدّه وعمله لا يتجاوزه ويتعداه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١٦٥)

الواقفون صفوفاً للعبودية والطاعة، ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦)

أي المصلون والمنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت من سبحتي أي من صلاتي، ذلك لما في الصلاة من تسبيح لله تعالى

وتعظيمه، والمسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله تعالى.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (١٦٧)

المعنى أن هؤلاء الكفار يعني أهل مكة كانوا يقولون:

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٨)

أي كتاباً من كتب الأولين التي أنزلها على أنبيائه.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩)

الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر في امتناعهم من الايمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدّمهم وهل حصلوا في جنة أو نار.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠)

أي فلما أتاهم الكتاب وهو القرآن كفروا به (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم.

حزب الله هو المنتصر:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١)

أقسم سبحانه: بأنه قد سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم الى الخلق.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢)

في الدنيا والآخرة على الأعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣)

أضاف المؤمنين الى نفسه ووصفهم بأنهم جنده تشريفاً وتنويهاً بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ (١٧٤)

أي أعرض يا محمد عن المجرمين، واصبر على أذاهم الى أمد

معلوم عندنا، فسيجعل الله العاقبة لك عليهم والظفر بهم لا محالة.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥)

أي انظرهم وابصر ما ضيعوا من أمر الله تعالى فسوف يرون العذاب.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦)

أي يطلبون استعجال عذابنا.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٧)

المعنى ان يوم ينتقم الله منهم بعد أن أنذرهم هو شر يوم عليهم وأسوأه.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ (١٧٨)

مضى تفسيره وإنما كرّر ما سبق للتأكيد.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩)

أي فكن على بصيرة من أمرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠)

أي تنزيهاً لربك مالك العزة يعزّ من يشاء من الأنبياء والأولياء لا يملك أحد إعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١)

أي سلامة وأمان لهم من أن ينصر عليهم أعداؤهم.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢)

أي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به أحداً فإن النعم كلها منه،

وروى الأصبـغ بن نباتة عن علي عليه السلام وقد روي أيضاً مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال: مـن أراد ان يكتال بالمكيـال الأوفى من الأجر يـوم القيامة فليكـن آخر كلامه فـي مجلسه «سبحـان ربك رب العـزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لتحصيل هذه المطالب والاعتبار بها والعمل بالمنجيات وترك المهلكات، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

- القرآن الكريم.
- تفسير مجمع البيان، للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره.
- تفسير الميزان، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ آية الله ناصر مكارم الشيرازي.
- التفسير الكاشف، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.
- التفسير المبين، للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره.
- تفسير القرآن الكريم، للسيد عبد الله شبّر قدس سره.
- ميزان الحكمة للشيخ آية الله محمدي الرّي شهري.

الفهرس

المقدمة ٥
فضيلة سورة يس: ٧
اللغة والبيان: ١١
التفسير: ١١
الحروف المقطعة: ١١
أسباب النزول: ١٣
من هم الذين يتقبلون إنذارك: ١٤
رسولان عززهما الله بثالث: ١٥
المجاهدون الذين حملوا أرواحهم على الأكف: ١٦
قصة رسل أنطاكية: ١٨
اللغة والبيان: ٢٣
التفسير ٢٣
يا حسرة على العباد: ٢٣
الغفلة الدائمة: ٢٤
وفي كل شيء له آية: ٢٦
آية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون: ٢٧
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين: ... ٢٧
صيحة النشور: ٢٨
اللغة والبيان: ٣٢
التفسير: ٣٢
أصحاب الجنة وأصحاب النار: ٣٢
ألم أعهد إليكم أن لا تعبدوا الشيطان ؟! ٣٣
اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم !! .. ٣٤
وما علمناه الشعر !! ٣٥

ولهم فيها منافع ومشارب: ٣٦
قال من يحيي العظام ! ٣٧
سبب النزول: ٣٨
سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ! ٣٩
فضيلة تلاوة سورة الصافات: ٤١
محتوى سورة الصافات: ٤١
اللغة والبيان: ٤٥
التفسير: ٤٦
الملائكة المستعدة لتنفيذ المهام: ٤٦
حفظ السماء من تسلل الشياطين: ٤٧
أولئك الذين لا يقبلون الحق: ٤٨
أإنا وآباؤنا لمبعوثون من جديد؟ ٤٩
المناقشات التي تدور في جهنم بين الاتباع والمتبوعين الضالين: ٥٠
مصير أئمة الضلال وأتباعهم: ٥١
جوانب من النعم تغدق على أهل الجنّة: ٥٣
اللغة والبيان: ٥٧
التفسير: ٥٨
جوانب من العذاب الأليم الذي يعذب به أهل النار: ٥٩
سبب النزول: ٦٠
مقتطفات من قصة نوح عليه السلام: ٦٢
قصة نوح عليه السلام في القرآن: ٦٤
دينه وشريعته عليه السلام: ٦٤
اجتهاده عليه السلام في دعوته: ٦٥
لبثه عليه السلام في قومه: ٦٥
صنعه عليه السلام الفلك: ٦٥

نزول العذاب ومجيء الطوفان: ٦٥
قضاء الأمر ونزوله ومن معه الى الأرض: ٦٦
اسلوب ابراهيم عليه السلام الفطن في تحطيم الأصنام: ٦٦
فشل مخططات المشركين: ٦٨
ابراهيم عليه السلام عند المذبح: ٦٩
اللغة والبيان: ٧٣
التفسير: ٧٣
إبراهيم عليه السلام عبد مؤمن بالله سبحانه: ٧٤
قصة بشارة ابراهيم عليه السلام: ٧٥
النعم التي منّ بها الله تعالى على موسى وهارون عليهما السلام: ٧٦
رسول الله إلياس عليه السلام ومواجهته للمشركين: ٧٧
من هو إلياس؟ ٨٠
ارض قوم لوط عليه السلام المدمرة أمامكم: ٨١
قصة لوط عليه السلام: ٨٢
يونس عليه السلام في بوتقة الامتحان: ٨٣
قصة يونس عليه السلام: ٨٥
التهم القبيحة والفاضحة: ٨٦
اللغة والبيان: ٨٨
التفسير: ٨٨
الادعاءات الكاذبة: ٨٩
حزب الله هو المنتصر: ٩٠
المصادر ٩٣
الفهرس ٩٤